أماني الأنبياء – عليهم السلام –

التي لم تتحقق ، وأثرها التربوي

دراسة قرآنية

د. عودة عبد عودة عبد الله (باحث رئيس)*

الباحث. زهران عمر زهران (باحث مشارك)**

(*) أستاذ مشارك – قسم أصول الدين – كلية الشريعة – جامعة النجاح الوطنية – فلسطين.

(**) باحث في الدراسات القرآنية – ماجستير تفسير– كلية الشريعة – جامعة النجاح الوطنية – فلسطين.

ملخص البحث

يقوم هذا البحث على تتبع المشاهد القرآنية التي عرضت لبعض المواقف التي حصل فيها التمني من قبل الأنبياء – عليهم السلام – ؛ بغرض دراسة أماني الأنبياء التي لم تتحقق؛ للوقوف على أسباب هذه الأماني والآثار التربوية المترتبة على ذلك.

وتبين أن ظاهرة التمني عند الأنبياء – عليهم السلام – تدل على بشريتهم، وبأن عدم تحقق بعض أمانيهم – عليهم السلام – دلالة على حقيقة دورهم في تبليغ الرسالة، كما هي من عند الله دون زيادة أو نقصان.

وقد لمسنا من خلال تحليل هذه الظاهرة أن أمانيهم وإن كان في ظاهر بعضها مخالفة واضحة، إلا أنها لا تمثل انحرافاً عن المنهج القويم أو جنوحاً إلى الخطيئة، كما أنها لا تتعارض مع عصمة الأنبياء – عليهم السلام – .

الكلمات الدالة: القرآن، الأنبياء، التفسير الموضوعي

مقدمة

الحمد لله الذي خلق فسوى، وأعطى كل شيء خلقه ثم هدى، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده وصفيه من خلقه وخليله، وبعد..

فإن من سنن الله في خلقه التي لا تتغير ولا تتبدل ولا تحابي ولا تجامل، أنّ المرء لا يدرك كل ما يتمناه، ولم تتوقف مسألة الأماني التي لم تتحقق على العامة من الناس فقط، بل تعدت ذلك لتصل إلى خير البشر وهم الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، كما تدل على ذلك آيات القرآن الكريم.

وهذا البحث عبارة عن تتبعٍ لهذه المشاهد في القرآن الكريم والتي تحدثت عن أماني الأنبياء – عليهم السلام – التي لم تتحقق، وذلك بغرض فهم طبيعة هذه الأماني، وأسبابها ودوافعها، انطلاقاً من الإيمان ببشرية الأنبياء من جهة، وعصمتهم من جهة أخرى.

ويأتي هذا البحث بهدف التعرف على طبيعة موقف الأنبياء حِيال أمنياتهم التي لم تتحقق، ومدى تأثير ذلك على إيمانهم والتزامهم بالمنهج القويم. وذلك من أجل استخلاص العبر والدروس والقيم التربوية المستفادة من مواقف الأنبياء، والإفادة من ذلك بالنسبة للدعاة والمربين، لإصلاح واقع الأمة من خلال تربيتها على القيم التربوية والسلوكية والأخلاقية.

وقد اتبعنا في هذا البحث المنهج الاستقرائي والمنهج التحليلي، وذلك باستقراء الآيات التي تناولت هذه الأماني وتتبعها، ثم تحليلها ودراستها من خلال كتب التفسير خاصة وغيرها من المراجع ذات العلاقة.

وقد جاء هذا البحث فى مقدمة وثلاثة مباحث وخاتمة على النحو الآتي:

المبحث الأول: مفهوم الأمنية ودلالتها في السياق القرآني.

المبحث الثاني: نماذج من أماني الأنبياء – عليهم السلام – التي لم تتحقق.

المبحث الثالث: الآثار التربوية المستفادة من عدم تحقق أماني الأنبياء – عليهم السلام – .

والله نسأل أن يجعل هذا البحث في ميزان حسناتنا وحسنات والدينا، إنه ولي ذلك ومولاه.

المبحث الأول
مفهوم الأمنية ودلالتها في السياق القرآني

أولاً: معنى الأمنية

جاء في تاج العروس: «تمناه تمنياً؛ أي أراده. وقال ثعلب: التمنّي حديث النفس بما يكون وبما لا يكون. وقال ابن الأثير: التمني تشهي حصول الأمر المرغوب فيه. وقال ابن دريد: تمنيت الشيء أي قدّرته وأحببت أن يصير إليّ»[1].

ويطلق التمني على السُّؤال للربّ في الْحَوَائِج[2]، وَفِي الحَدِيث: «إِذَا تَمَنَّى أَحَدُكُمْ فَلْيُكْثِرْ؛ فَإِنمَّا يَسْأَلُ رَبَّهُ عَزَّ وَجَلَّ»[3]. «وَالْمَعْنَى: إِذَا سأَلَ اللهَ حوائِجَه وفَضْلَه فلْيُكْثِر، فَإِنَّ فَضْلَ اللهِ كثيرٌ، وخزائِنَه واسِعةٌ»[4].

وعرّف الجرجاني الأمنية بأنها: «طلب حصول الشيء سواء أكان ممكنا أو ممتنعاً»[5].

الناظر في المعاني السابقة للأمنية يجد أن لفظها يدور حول ما يرغب المرء في وقوعه سواء أكان هذا الأمر حديثاً بالنفس أو صراحة بالقول أو ظهر من خلال الفعل.

---

(١) الزبيدي، محمد بن محمد عبد الرزاق: **تاج العروس من جواهر القاموس**. دار الهداية. (٣٩/ ٥٦٢). وانظر: الهروي، محمد بن أحمد بن الأزهري. **تهذيب اللغة**، تحقيق: محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي – بيروت، ط١، ٢٠٠١م، (١٥/ ٣٨٣).

(٢) المرجع السابق، (١٥/ ٣٨٣).

(٣) ذكره الهيثمي في مجمع الزوائد، وقال: "رواه الطبراني في الأوسط، ورجاله رجال الصحيح". وصححه الألباني. انظر: الهيثمي، أبو الحسن نور الدين علي بن أبي بكر بن سليمان: **مجمع الزوائد ومنبع الفوائد**، تحقيق: حسام الدين القدسي، مكتبة القدسي، القاهرة، ١٤١٤هـ– ١٩٩٤م، رقم (١٧٢٢٠)، ١٠/ ١٥٠. الألباني، محمد ناصر الدين: **سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها**، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض، ط١، ١٩٩٥م، رقم (١٢٦٥)، (٣/ ٢٦٣).

(٤) ابن الأثير، مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد الشيباني الجزري، **النهاية في غريب الحديث والأثر**، تحقيق: طاهر الزاوى ومحمود الطناحي، المكتبة العلمية – بيروت، ١٣٩٩هـ– ١٩٧٩م، (٤/ ٣٦٧).

(٥) الجرجاني، علي بن محمد بن علي. **التعريفات**. تحقيق: إبراهيم الأبياري . بيروت: دار إحياء التراث العربي. طبعة: ١، سنة: ١٤٠٥هـ. (١/ ٩٢).

ثانياً: الأمنية في السياق القرآني

ورد لفظ (الأماني) ومشتقاته في القرآن الكريم سبع عشرة مرة، موزعة على ثماني سور[1]، منها سورتان مكيتان وست سور مدنية. بمعنى أن التركيز على موضوع أماني الأنبياء التي لم تتحقق جاء في السور المدنية.

ومعنى لفظ (الأماني) ومشتقاته في القرآن الكريم لا يخرج عمّا بيناه تحت المعنى اللغوي للأمنية، وبإمعان النظر في النصوص القرآنية يتبين أن هذا المعنى يدور حول الأمور الآتية:

١. مجرد الرغبة بحصول الشيء: كما في قوله تعالى: ﴿لَّيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلَآ أَمَانِيِّ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ ۗ مَن يَعْمَلْ سُوٓءًا يُجْزَ بِهِۦ وَلَا يَجِدْ لَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا﴾ (النساء: ١٢٣). «أي ليس لكم ولا لهم النجاة بمجرد التمني، بل العبرة بطاعة الله واتباع ما شرعه على ألسنة رسله الكرام»[2].

٢. تمني الخير: كما في قوله تعالى: ﴿أَمْ لِلْإِنسَٰنِ مَا تَمَنَّىٰ﴾ (النجم: ٢٤). قال ابن كثير: «أي ليس كل ما تمنى خيرا حصل له»[3].

٣. الشهوة الباطلة والوهم الفاسد: كما في قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا۟ لَن يَدْخُلَ ٱلْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ ۗ تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ ۗ قُلْ هَاتُوا۟ بُرْهَٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ (البقرة: ١١١). فالمقصود من الأماني هنا: الشهوات الباطلة[4].

وقوله تعالى: ﴿يُنَادُونَهُمْ أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ وَلَٰكِنَّكُمْ فَتَنتُمْ أَنفُسَكُمْ وَتَرَبَّصْتُمْ وَٱرْتَبْتُمْ

---

(١) هي: سورة البقرة: الآيات (٧٨، ٩٤، ٩٥، ١١١)، سورة آل عمران: الآية (١٤٣)، سورة النساء: الآيات (٣٢، ١٢٠، ١٢٣، ١١٩)، سورة الحج: الآيتان (٢٢، ٥٢)، سورة القصص: الآية (٢٨)، سورة النجم: الآية (٢٤)، سورة الحديد: الآية (١٤)، سورة الجمعة: الآيتان (٦، ٧).

(٢) ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر الدمشقي: **تفسير القرآن العظيم**، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، ط٢، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م، (٢/ ٤١٧).

(٣) ابن كثير: **تفسير القرآن العظيم**. (٧/ ٤٨٥).

(٤) المحلي والسيوطي، جلال الدين محمد بن أحمد وجلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر: **تفسير الجلالين**، القاهرة: دار الحديث. (١/ ٢٣).

وَغَرَّتْكُمُ ٱلْأَمَانِيُّ حَتَّىٰ جَآءَ أَمْرُ ٱللَّهِ وَغَرَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ﴾(الحديد: ١٤). قال القرطبي: «أي الأباطيل»[١]. وقال سيد طنطاوي: «الأماني: جمع أمنية وهي ما يمنون به أنفسهم من الباطل»[٢].

وقوله تعالى: ﴿ وَلَأُضِلَّنَّهُمْ وَلَأُمَنِّيَنَّهُمْ وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُبَتِّكُنَّ ءَاذَانَ ٱلْأَنْعَٰمِ وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ ٱللَّهِ ۚ وَمَن يَتَّخِذِ ٱلشَّيْطَٰنَ وَلِيًّا مِّن دُونِ ٱللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُّبِينًا ﴾(النساء: ١١٩). قال سيد طنطاوي: «بأن أجعلهم يجرون وراء الأحلام الكاذبة، والأوهام الفاسدة والأطماع التي تسيطر على نفوسهم وعقولهم»[٣].

٤. الطمع بما في أيدي الآخرين: كما في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَتَمَنَّوْا۟ مَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بِهِۦ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا ٱكْتَسَبُوا۟ ۖ وَلِلنِّسَآءِ نَصِيبٌ مِّمَّا ٱكْتَسَبْنَ ۚ وَسْـَٔلُوا۟ ٱللَّهَ مِن فَضْلِهِۦٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا ﴾(النساء: ٣٢). والتمني المنهي عنه هنا: هو الذى يتضمن معنى الطمع بما في أيدي الآخرين، وحسدهم على ما أعطاهم الله من مال أو جاه، أو غير ذلك مما يجرى فيه التنافس بين الناس[٤]. «وفيه النهي عن أن يتمنى الإنسان ما فضل الله به غيره من الناس عليه، فإن ذلك نوع من عدم الرضا بالقسمة التي قسمها الله بين عباده على مقتضى إرادته وحكمته البالغة، وفيه أيضاً نوع من الحسد المنهي عنه إذا صحبه إرادة زوال تلك النعمة عن الغير»[٥].

وقوله تعالى: ﴿ وَأَصْبَحَ ٱلَّذِينَ تَمَنَّوْا۟ مَكَانَهُۥ بِٱلْأَمْسِ يَقُولُونَ وَيْكَأَنَّ ٱللَّهَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ

---

(١) القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري: **الجامع لأحكام القرآن**، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية – القاهرة، ط٢، ١٣٨٤هـ – ١٩٦٤م، (١٧/٢٤٧).

(٢) طنطاوي، محمد سيد: **التفسير الوسيط للقرآن الكريم**، دار نهضة مصر – القاهرة، ط١، (١/٤٠٩٠).

(٣) المرجع السابق، (١/١٠٧٦).

(٤) طنطاوي: **التفسير الوسيط**. (١/٩٢٨).

(٥) القنَّوجي، أبو الطيب محمد صديق خان: **فتحُ البيان في مقاصد القرآن**، المَكتبة العصريَّة، صَيدَا – بيروت، ١٤١٢هـ – ١٩٩٢م، (٣/١٠٠).

لِمَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَيَقْدِرُ ۖ لَوْلَآ أَن مَّنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بِنَا ۖ وَيْكَأَنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ (القصص: ٨٢). «أي الذين لما رأوه في زينته قالوا: يا ليت لنا مثلما أوتي قارون»[١].

٥. حرص اليهود على الحياة وعدم تمنيهم الموت: كما في قوله تعالى: ﴿قُلْ إِن كَانَتْ لَكُمُ ٱلدَّارُ ٱلْءَاخِرَةُ عِندَ ٱللَّهِ خَالِصَةً مِّن دُونِ ٱلنَّاسِ فَتَمَنَّوُا۟ ٱلْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾(البقرة: ٩٤). وقال تعالى مبيناً إحجام اليهود عن تمني الموت: ﴿وَلَن يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًۢا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ﴾(البقرة: ٩٥).

هذه هي جملة الآيات القرآنية التي ذكرت لفظ الأمنية، سواء كان هذا اللفظ بالإفراد أو الجمع، ويتبين من خلال النظر فيها أن الأمنية في القرآن تدل على وجود رغبة أو أمل أو طلب أو دعاء أو سؤال، وقد تقع في أمر مقدور عليه أو أمر طمستحيل، وقد تكون في أمر فيه الخير أو أمر باطل أو أمر مباح .

ثالثاً: الأماني وعصمة الانبياء

يعرّف الراغب الأصفهاني العصمة بقوله: «وعصمة الأنبياء حفظه إياهم أولاً بما خصهم به من صفاء الجوهر، ثم بما أولاهم من الفضائل الجسمية والنفسية، ثم بالنصرة ، وبتثبيت أقدامهم بالنصرة، ثم بإنزال السكينة عليهم، وبحفظ قلوبهم، وبالتوفيق، قال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ﴾ (المائدة: ٦٧)»[٢].

وعرّفها الصابوني بقوله: «هي حفظ الله لأنبيائه ورسله عن الوقوع في الذنوب والمعاصي، وارتكاب المنكرات والمحرمات، وهي من صفاتهم التي أكرمهم الله تعالى بها، وميّزهم عن سائر البشر»[٣].

والأنبياء – عليهم السلام – هم خلاصة الجنس البشري، ووصلوا بما أفاضه

---

(١) ابن كثير: **تفسير القرآن العظيم**. (٦/ ٢٥٧).
(٢) الراغب الأصفهاني، أبو القاسم الحسين بن محمد: **المفردات في غريب القرآن**، تحقيق: صفوان عدنان الداودي، دار القلم، الدار الشامية – دمشق، بيروت، ط ١، ١٤١٢هـ، ص ٣٤٠ .
(٣) الصابوني، محمد علي: **النبوة والأنبياء**. ط: ١ . القاهرة : دار الحديث. ١٩٨٦م. ص ٥٠ .

الله عليهم إلى قمة الكمال الإنساني، «ولو لم يكونوا كذلك لسقطت هيبتهم من القلوب، ولصغر شأنهم في أعين الناس، وبذلك تضيع الثقة فيهم، فلا ينقاد لهم أحد، وتذهب الحكمة من إرسالهم ليكونوا قادة الخلق إلى الحق»[1]، ومع كل ذلك وبحكم بشريتهم كانت تقع منهم الأخطاء، يصوبهم الله عليها. يقول ابن تيمية: «الله تعالى لم يذكر في القرآن شيئاً من ذلك عن نبي من الْأَنبياء إلاَّ مقرونا بالتَّوبة والاستغفار، كقول آدم وزوجته: ﴿ قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾(الأعراف:٢٣) وَقَوْلِ نُوحٍ:﴿قَالَ رَبِّ إِنِّيٓ أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْـَٔلَكَ مَا لَيْسَ لِي بِهِۦ عِلْمٌ ۖ وَإِلَّا تَغْفِرْ لِي وَتَرْحَمْنِيٓ أَكُن مِّنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾[2].

ومن المعلوم أن الأمة اتفقت على أن الرسل – عليهم السلام – معصومون في أمور هي[3]:

١. تحمّل الرسالة. فلا ينسون شيئاً مما أوحاه الله تعالى إليهم إلا شيئاً قد نسخ، قال تعالى: ﴿ سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنسَىٰٓ ﴾(الأعلى: ٦).

٢. التبليغ. فالرسل لا يكتمون شيئاً مما أوحاه الله إليهم، ذلك لأن الكتمان خيانة، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ ﴾(المائدة: ٦٧).

٣. تعمّد اقتراف كبائر الذنوب والصغائر الخسيسة.

فالأماني الصادرة عن الأنبياء – عليهم السلام – لا تنفك عن الطبيعة البشرية، وعن الخلقة الإنسانية، وهي لا تنافي عصمتهم، ولا تصطدم معها ؛ ذلك لأن هذه الأماني التي حدثت لهم وما نتج عنها من تصرفات وأعمال لم تصل إلى درجة الكبائر،

---

(١) سابق، سيد: **العقائد الإسلامية**، الناشر: دار الكتاب العربي – بيروت، ص١٨٣ .

(٢) ابن تيمية، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم: **مجموع الفتاوى**، تحقيق: عبد الرحمن ابن قاسم، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف، المدينة النبوية، المملكة العربية السعودية، ١٤١٦هـ/١٩٩٥م، (١٠/٢٩٦).

(٣) مصطفى، إبراهيم عبد الرحيم: **الانفعالات النفسية عند الأنبياء – عليهم السلام – في القرآن الكريم**، (رسالة ماجستير) جامعة النجاح الوطنية، ٢٠٠٩م.

ولا حتى الصغائر الخسيسة، فلا تؤثّر على نبوتهم أو على شخصيتهم الرسالية.

ولعله من المناسب هنا أن يعرج الباحث على آية سورة الحج ؛ لأن لها علاقة بموضوع الأماني وعصمة الأنبياء، وهي قوله تعالى:﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٖ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ أَلۡقَى ٱلشَّيۡطَٰنُ فِيٓ أُمۡنِيَّتِهِۦ فَيَنسَخُ ٱللَّهُ مَا يُلۡقِي ٱلشَّيۡطَٰنُ ثُمَّ يُحۡكِمُ ٱللَّهُ ءَايَٰتِهِۦۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٞ﴾ (الحج: ٥٢)، ورغم أن الآية ليست في الأمنيات التي لم تتحقق، لكنها مهمة في موضوع أماني الأنبياء عموماً، ثم إنه من المهم الوقوف على المعنى الصحيح للآية ما دام الحديث في هذا البحث عن أماني الأنبياء.

قال الإمام الطبري في تفسيره لهذه الآية: «قيل: إن السبب الذي من أجله أنزلت هذه الآية على رسول الله ﷺ، أن الشيطان كان ألقى على لسانه في بعض ما يتلوه مما أنزل الله عليه من القرآن ما لم ينزله الله عليه، فاشتدّ ذلك على رسول الله ﷺ واغتمَّ به، فسلاه الله مما به من ذلك بهذه الآيات»[1].

ويوضح هذا الذي ألقاه الشيطان ما رواه الواحدي في أسباب النزول عن سعيد بن جبير، قال: قَرَأَ رَسُولُ اللهِ ﷺ :﴿أَفَرَءَيۡتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلۡعُزَّىٰ وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلۡأُخۡرَىٰٓ﴾ (النجم: ١٩- ٢٠) فَأَلْقَى الشَّيْطَانُ عَلَى لِسَانِهِ: (تِلْكَ الْغَرَانِيقَ الْعُلَى وإن شَفَاعَتَهُنَّ تُرْتَجَى)، فَفَرِحَ بِذَلِكَ الْمُشْرِكُونَ وَقَالُوا قَدْ ذَكَرَ آلِهَتَنَا، فَجَاءَ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ وَقَالَ: اعْرِضْ عَلَيَّ كَلَامَ اللهِ، فَلَمَّا عَرَضَ عَلَيْهِ، فَقَالَ: أَمَّا هَذَا فَلَمْ آتكَ بِهِ هَذَا مِنَ الشَّيْطَانِ، فَأَنْزَلَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٖ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ أَلۡقَى ٱلشَّيۡطَٰنُ فِيٓ أُمۡنِيَّتِهِۦ﴾[2].

ولكن هل هذا معقول؟ وهل يصح أن يرد على لسان رسول الله ﷺ مدحٌ للأصنام؟ وهل يُتصوَّر أنَّ النبي يُدخل في القرآن الكريم لفظاً مصدره من الشيطان؟

الواقع أنّ هذه القصة، والتي عرفت بقصة الغرانيق باطلة نقلاً وعقلاً. فالقصة

---

(١) الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير: **جامع البيان عن تأويل آي القرآن**، تحقيق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٢٠ هـ- ٢٠٠٠م، (٦٦٣/١٨).

(٢) الواحدي، أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد النيسابوري: **أسباب نزول القرآن**، تحقيق: عصام ابن عبد المحسن الحميدان، دار الإصلاح، الدمام، ط٢، ١٤١٢هـ- ١٩٩٢م، ص٣١٠.

وردت بأسانيد جلّها ضعيفة أو منقطعة. قال القاضي عياض: «إن هذا حديث لم يخرجه أحد من أهل الصحة، ولا رواه ثقة بسند سليم متصل، وإنما أولع به وبمثله المفسرون والمؤرخون المولعون بكل غريب، المتلقفون من الصحف كل صحيح وسقيم ... ومن حكيت هذه الحكاية عنه من المفسرين والتابعين لم يسندها أحد منهم ولا رفعها إلى صاحب، وأكثر الطرق عنهم فيها ضعيفة واهية»[1]. وطعن ابن كثير في ثبوت القصة قائلاً: «قد ذكر كثير من المفسرين هاهنا قصة الغرانيق ... ولكنها من طرق كلها مرسلة، ولم أرها مسندة من وجه صحيح»[2]. وقد ألف المحدث الألباني رسالة قيمة لردها سماها: «نصب المجانيق لنسف قصة الغرانيق» وهي مطبوعة[3].

إذن ما المقصود بالأمنية في الآية القرآنية؟ وكيف يكون إلقاء الشيطان في أمنية النبي؟

إن أحسن ما قيل في تفسير هذه الآية ما جاء على لسان الإمام محمد عبدة، حيث ذكر أنّ تفسيرها يحتمل وجهين[4]:

الأول: أن التمني بمعنى القراءة، إلا أن الإلقاء لا بالمعنى الذي ذكره المبطلون، بل بمعنى إلقاء الأباطيل والشبه في الكلام، وذلك من عمل المعاجزين، الذين دأبهم محاربة الحق، يتبعون الشبهة، ويسعون وراء الريبة. ونسبة الإلقاء إلى الشيطان حينئذ لأنه مثير الشبهات بوساوسه. ويكون المعنى: وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي إلا إذا حدَّث قومه عن ربه، أو تلا وحيًا أنزل الله فيه هداية لهم، قام في وجهه مشاغبون يتقوَّلون عليه ما لم يقله، ويُحرفون الكلم عن مواضعه، وينشرون ذلك بين الناس، ولا يزال الأنبياء يجادلونهم ويجاهدون في سبيل الحق، حتى ينتصر، فينسخ الله ما يُلقي

---

(١) القاضي عياض، أبو الفضل القاضي عياض بن موسى اليحصبي: **الشفا بتعريف حقوق المصطفى**، دار الفكر، ١٤٠٩هـ - ١٩٨٨م، (٢/ ١٢٥- ١٢٦).

(٢) ابن كثير: **تفسير القرآن العظيم**، (٥ / ٤٤١).

(٣) انظر: الألباني، أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين: **نصب المجانيق لنسف قصة الغرانيق**، المكتب الإسلامي، ط٣، ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م.

(٤) نقلاً عن: أبو شُهبة، محمد بن محمد بن سويلم: **الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير**، مكتبة السنة، ط٤، ص ٣٢١- ٣٢٢.

الشيطان مِن شُبَه، وُيثبت الحق.

الثاني: أن المراد بالتمني: تشهي حصول الأمر المرغوب فيه، أي: وما أرسل الله من رسول، ولا نبي ليدعو قومه إلى هُدى جديد، إلا وغاية مقصوده وَجُلَّ أمانيه، أن يؤمن قومه، وكان نبينا من ذلك في المقام الأعلى، قال الله تعالى: ﴿ فَلَعَلَّكَ بَٰخِعٌ نَّفْسَكَ عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمْ إِن لَّمْ يُؤْمِنُواْ بِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِ أَسَفًا ﴾ (الكهف: ٦). ويكون المعنى: وَما أرسلنا من رسول ولا نبي، إلا إذا تمنى هذه الأمنية السامية ألقى الشيطان في سبيله العثرات، وأقام بينه وبين مقصده العقبات ووسوس في صدور الناس، فثاروا في وجهه، وجادلوه بالسلاح حينًا وبالقول حينًا آخر، فإذا ظهروا عليه والدعوة في بدايتها. ونالوا منه وهو قليل الأتباع، ظنوا أن الحق في جانبهم، وقد يستدرجهم الله جريًا على سنته، يجعل الحرب بينهم وبين المؤمنين سِجالاً، فينخدع بذلك الذين في قلوبهم شك ونفاق، ولكن سرعان ما يمحق الله ما ألقاه الشيطان من الشبهات، وينشىء من ضعف أنصار الحق قوة، ومِن ذُلهم عزة، وتكون كلمة الله هي العليا، وكلمة الذين كفروا السفلى.

المبحث الثاني

نماذج من أماني الأنبياء – عليهم السلام – التي لم تتحقق

الأنبياء – عليهم السلام – كغيرهم من البشر، يعتريهم ما يعتري البشر من العوارض البشرية، ولقد أكد القرآن الكريم ذلك في مواطن كثيرة، قال تعالى: ﴿قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي هَلْ كُنتُ إِلَّا بَشَرًا رَّسُولًا ﴾(الإسراء: ٩٣)، وقال في موضع آخر: ﴿قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِن نَّحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَمُنُّ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ﴾(إبراهيم:١١). حتى إن هذه البشرية كانت حجة عند كثير من الطغاة والمنحرفين ؛ لعدم استجابتهم لأنبيائهم ورسلهم، فقد ذكر القرآن الكريم على لسان قوم نوح – عليه السلام – : ﴿ فَقَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَوْمِهِۦ مَا نَرَىٰكَ إِلَّا بَشَرًا مِّثْلَنَا ﴾(هود: ٢٧). فما داموا كذلك فهم يتصفون بما يتصف به البشر، فالنبي يأكل ويشرب ويصح ويمرض ويرضى ويغضب ويفرح ويحزن ويتمنى ويرجو كغيره من البشر.

وفي هذا المبحث سيتم عرض النماذج القرآنية التي تبين وقوع التمني من الأنبياء – عليهم السلام – ، وكضابط مهم في تناول هذا الموضوع لا بد من الإشارة إلى أن البحث لن يقتصر على ما ورد صريحاً بلفظ الأمنية أو مشتقاتها، بل سيتعداه إلى كل ما يدل على رغبة النبي في وقوع الشيء أو الحصول عليه أو رده؛ لأن ذلك من جملة الأماني.

أولاً: أمنية آدم – عليه السلام – بالملك والخلد

حدثنا القرآن الكريم عن هذه الرغبة التي تحولت إلى أمنية بالملك والخلد لدى آدم – عليه السلام – ، حينما ظن أن هذا الأمر سيتحقق له إذا أكل من الشجرة.

قال الله تعالى: ﴿ وَيَٰٓـَٔادَمُ ٱسۡكُنۡ أَنتَ وَزَوۡجُكَ ٱلۡجَنَّةَ فَكُلَا مِنۡ حَيۡثُ شِئۡتُمَا وَلَا تَقۡرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ فَوَسۡوَسَ لَهُمَا ٱلشَّيۡطَٰنُ لِيُبۡدِيَ لَهُمَا مَا وُۥرِيَ عَنۡهُمَا مِن سَوۡءَٰتِهِمَا وَقَالَ مَا نَهَىٰكُمَا رَبُّكُمَا عَنۡ هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةِ إِلَّآ أَن تَكُونَا مَلَكَيۡنِ أَوۡ تَكُونَا مِنَ ٱلۡخَٰلِدِينَ وَقَاسَمَهُمَآ إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ فَدَلَّىٰهُمَا بِغُرُورٖۚ فَلَمَّا ذَاقَا ٱلشَّجَرَةَ بَدَتۡ لَهُمَا سَوۡءَٰتُهُمَا وَطَفِقَا يَخۡصِفَانِ عَلَيۡهِمَا مِن وَرَقِ ٱلۡجَنَّةِۖ وَنَادَىٰهُمَا رَبُّهُمَآ أَلَمۡ أَنۡهَكُمَا عَن تِلۡكُمَا ٱلشَّجَرَةِ وَأَقُل لَّكُمَآ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ لَكُمَا عَدُوّٞ مُّبِينٞ ﴾ (الأعراف: ١٩– ٢٢).

لقد أقدم آدم وزوجته على الأكل من الشجرة بعد الوهم الذي زرعه فيهما إبليس، فظنّا أنهما بذلك سيحصلان على الخلود، سيما وأن إبليس «حلف لهما بما يوهم صدقه»[(١)]. «فلما خالفا أمر الله تعالى بأن أكلا من الشجرة التي نهاهما الله عن الأكل منها، أخذتهما العقوبة وشؤم المعصية، فتساقط عنهما لباسهما، وظهرت لهما عوراتهما»[(٢)].

ثم بعد هذا يتوب آدم – عليه السلام – من هذه المخالفة، دون أن تتحقق له الأمنية

---

(١) أبو شُهبة، محمد بن محمد بن سويلم: **الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير**، المرجع السابق.

(٢) طنطاوي، سيد: **التفسير الوسيط**. (١/ ١٥٩٥).

التي كان يتمناها. قال تعالى: ﴿فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ فَتَابَ عَلَيْهِۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾ (البقرة: ٣٧).

ثانياً: أمنية نوح – عليه السلام – بنجاة ولده من الطوفان

هذه الأمنية تبدو واضحة في المشهد القرآني الذي تعرضه سورة هود، وذلك في قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَمْرُنَا وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ قُلْنَا ٱحْمِلْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ ٱلْقَوْلُ وَمَنْ ءَامَنَۚ وَمَآ ءَامَنَ مَعَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلٌ وَقَالَ ٱرْكَبُوا۟ فِيهَا بِسْمِ ٱللَّهِ مَجْرٖىٰهَا وَمُرْسَىٰهَآۚ إِنَّ رَبِّى لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ وَهِىَ تَجْرِى بِهِمْ فِى مَوْجٍ كَٱلْجِبَالِ وَنَادَىٰ نُوحٌ ٱبْنَهُۥ وَكَانَ فِى مَعْزِلٍ يَٰبُنَىَّ ٱرْكَب مَّعَنَا وَلَا تَكُن مَّعَ ٱلْكَٰفِرِينَ قَالَ سَـَٔاوِىٓ إِلَىٰ جَبَلٍ يَعْصِمُنِى مِنَ ٱلْمَآءِۚ قَالَ لَا عَاصِمَ ٱلْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ إِلَّا مَن رَّحِمَۚ وَحَالَ بَيْنَهُمَا ٱلْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ ٱلْمُغْرَقِينَ وَقِيلَ يَٰٓأَرْضُ ٱبْلَعِى مَآءَكِ وَيَٰسَمَآءُ أَقْلِعِى وَغِيضَ ٱلْمَآءُ وَقُضِىَ ٱلْأَمْرُ وَٱسْتَوَتْ عَلَى ٱلْجُودِىِّۖ وَقِيلَ بُعْدًا لِّلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ وَنَادَىٰ نُوحٌ رَّبَّهُۥ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ٱبْنِى مِنْ أَهْلِى وَإِنَّ وَعْدَكَ ٱلْحَقُّ وَأَنتَ أَحْكَمُ ٱلْحَٰكِمِينَ﴾(هود: ٤٠ – ٤٥).

لقد جعل الله تعالى حب الأبناء والحرص عليهم من الأمور الفطرية التي جُبلت قلوب الآباء عليها ؛ وبالتالي فهم يحرصون على ذلك رجاء صلاحهم ورغبة في هدايتهم، إلا أن ذلك لا ينبغي أن يخرج المرء عن مقتضى عبوديته لله تعالى، بل يؤدي ما عليه من واجب تجاه أبنائه ويجتهد في الدعاء أن يهديهم الله مع علمه أن الأمر كله لله، وأنه سبحانه يحكم ولا معقب لحكمه. وقد جعل الله تعالى للأنبياء من المشاعر والأحاسيس المرهفة ما يجعلهم كغيرهم من الناس يحبون أبنائهم ويحرصون على هدايتهم، فكانوا القدوة في هذا الشأن، وفي تحمل أعباء أبنائهم ومشقة دعوتهم.

ومن هنا فقد شكل نداء نوح – عليه السلام – الأخير لولده عنواناً لهذه الرغبة في نجاة ولده من الطوفان ﴿وَنَادَىٰ نُوحٌ ٱبْنَهُۥ وَكَانَ فِى مَعْزِلٍ يَٰبُنَىَّ ٱرْكَب مَّعَنَا وَلَا تَكُن مَّعَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾. فقد كان كل ما يتمناه نوح – عليه السلام – في هذه اللحظة أن يخلع ولده رداء الكفر ويلبس مكانه رداء الإيمان، ثم يقفز إلى السفينة فيكون مع الناجين من

الغرق.

«وقبل أن يشتد الطوفان وترتفع أمواجه، رأى نوح ابنه ... وكان هذا الابن في مكان منعزل، فقال له نوح بعاطفة الأبوة الناصحة الملهوفة: يا بنى اركب معنا في السفينة، ولا تكن مع القوم الكافرين الذين سيلفهم الطوفان بين أمواجه عما قريب. ولكن هذه النصيحة الغالية من الأب الحزين على مصير ابنه لم تجد أذنا واعية من هذا الابن العاق المغرور، بل رد على أبيه: ﴿قَالَ سَـَٔاوِيٓ إِلَىٰ جَبَلٖ يَعۡصِمُنِي مِنَ ٱلۡمَآءِۚ﴾ أي قال: سألتجئ إلى جبل من الجبال الشاهقة، لكي أتحصن به من وصول الماء إلي. وهنا يرد عليه أبوه الرد الأخير فيقول كما حكى القرآن عنه: قَالَ ﴿لَا عَاصِمَ ٱلۡيَوۡمَ مِنۡ أَمۡرِ ٱللَّهِ إِلَّا مَن رَّحِمَ﴾ أي قال نوح لابنه: لا معصوم اليوم من عذاب الله إلا من رحمه سبحانه بلطفه وإحسانه، وأما الجبال وأما الحصون وأما غيرهما من وسائل النجاة، فسيعلوها الطوفان، ولن تغني عن المحتمي بها شيئا ...﴿وَحَالَ بَيۡنَهُمَا ٱلۡمَوۡجُ فَكَانَ مِنَ ٱلۡمُغۡرَقِينَ﴾ بيان للعاقبة السيئة التي آل إليها أمر الابن الكافر»[1].

فلما لم يستجب لنداء أبيه وكان من المغرقين رفع نوح – عليه السلام – الأمنية الثانية.﴿ وَنَادَىٰ نُوحٞ رَّبَّهُۥ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ٱبۡنِي مِنۡ أَهۡلِي وَإِنَّ وَعۡدَكَ ٱلۡحَقُّ وَأَنتَ أَحۡكَمُ ٱلۡحَٰكِمِينَ﴾ يقول ابن عاشور: «إن نوحاً عليه السّلام لا يجهل أنّ ابنه كافر، ولذلك فسؤال المغفرة له عن علم بأنه كافر، ولكنّه يطمع لعل الله أن يعفو عنه لأجل قرابته به، فسؤاله له المغفرة بمنزلة الشفاعة له عند الله تعالى، وذلك أخذ بأقصى دواعي الشفقة والرحمة بابنه»[2]. فكان الجواب من الله: ﴿قَالَ يَٰنُوحُ إِنَّهُۥ لَيۡسَ مِنۡ أَهۡلِكَۖ إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيۡرُ صَٰلِحٖۖ فَلَا تَسۡـَٔلۡنِ مَا لَيۡسَ لَكَ بِهِۦ عِلۡمٌۖ إِنِّيٓ أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلۡجَٰهِلِينَ﴾(هود: ٤٦).

فلم تتحقق أمنية نوح – عليه السلام – بنجاة ابنه، بل كان من المغرقين.

---

(١) سيد طنطاوي. **التفسير الوسيط**. (١/ ٢٢١٠).

(٢) ابن عاشور، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر التونسي: **التحرير والتنوير**، الدار التونسية للنشر – تونس، ١٩٨٤م. (٧/ ٢٢٥).

ثالثاً: أمنية إبراهيم – عليه السلام – بالهداية والمغفرة لأبيه

تُعدُّ العلاقة مع الأب من أسمى العلاقات الإنسانية، والحفاظ عليها حجر الأساس في بناء هذه العلاقات. فمن لم يُحسن علاقته بوالده لن يحسن علاقته مع غيره، وإبراهيم – عليه السلام – كان حريصاً أشد الحرص على أن تكون علاقته بوالده علاقة ناجحة يسودها الحب والوئام؛ لذلك فقد تمنى أن يهتدي والده إلى الصراط المستقيم، فتوجه إلى الله بدعاء يعبر عن هذه الأمنية. في قوله تعالى على لسان إبراهيم: ﴿رَبِّ هَبْ لِي حُكْمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ وَاجْعَل لِّي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ وَاجْعَلْنِي مِن وَرَثَةِ جَنَّةِ النَّعِيمِ وَاغْفِرْ لِأَبِي إِنَّهُ كَانَ مِنَ الضَّالِّينَ وَلَا تُخْزِنِي يَوْمَ يُبْعَثُونَ﴾(الشعراء: ٨٣– ٨٧).

وعند ابن أبي حاتم في التفسير: «عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ فِي قَوْلِهِ: ﴿وَاغْفِرْ لِأَبِي إِنَّهُ كَانَ مِنَ الضَّالِّينَ﴾ قَالَ: امْنُنْ عَلَيْهِ بِتَوْبَةٍ يَسْتَحِقُّ بِهَا مَغْفِرَتَكَ يَعْنِي: بِتَوْبَةِ الإِسْلامِ»[(١)]. واستغفار إبراهيم – عليه السلام – لأبيه يعني دعاءه له إلى الإيمان والإسلام، حتى يتخلص من العقاب ويفوز بالغفران، فلما أخبره الله تعالى بأنه يموت مصراً على الكفر ترك تلك الدعوة. روى البخاري عن النبي ﷺ قَال: «يلقى إبراهيم أباه فيقول يا رب إنك وعدتني ألا تخزيني يوم يبعثُون فيقول اللهَّ تعالى إنِّي حرّمت الجنَّةَ على الكافرين»[(٢)].

هذه هي أمنية إبراهيم – عليه السلام – ، ولكن والده مات على ما مات عليه من الكفر والجحود، فلم تتحقق أمنية إبراهيم بهداية والده ومغفرة الله تعالى له.

رابعاً: أمنية يوسف – عليه السلام – أن يُذكر عند الملك

من بين المشاهد البارزة في سورة يوسف – عليه السلام – ، تلك الفترة التي قضاها يوسف – عليه السلام – ظلما في السجن، ولقد كانت أمنية يوسف – عليه السلام – أن يُرفع عنه هذا الظلم بعد أن يُذكر أمره عند ملك مصر، وذلك بعد أن يطلع الملك على المكيدة التي حيكت بحق يوسف.

---

(١) ابن أبي حاتم، عبد الرحمن بن محمد بن إدريس . **تفسير القرآن العظيم**. تحقيق: أسعد محمد. طبعة:٣، سنة: ١٤١٩هـ. السعودية: مكتبة نزار مصطفى. (٨/ ٢٧٨٢).

(٢) البخاري، محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي: **صحيح البخاري**، تحقيق: محمد زهير الناصر، دار طوق النجاة، بترقيم: محمد فؤاد عبد الباقي، ط ١، ١٤٢٢هـ، رقم (٤٧٦٩)، (٥٥٧/١١).

قال تعالى: ﴿يَٰصَٰحِبَيِ ٱلسِّجۡنِ أَمَّآ أَحَدُكُمَا فَيَسۡقِي رَبَّهُۥ خَمۡرٗاۖ وَأَمَّا ٱلۡأٓخَرُ فَيُصۡلَبُ فَتَأۡكُلُ ٱلطَّيۡرُ مِن رَّأۡسِهِۦۚ قُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ ٱلَّذِي فِيهِ تَسۡتَفۡتِيَانِ وَقَالَ لِلَّذِي ظَنَّ أَنَّهُۥ نَاجٖ مِّنۡهُمَا ٱذۡكُرۡنِي عِندَ رَبِّكَ فَأَنسَىٰهُ ٱلشَّيۡطَٰنُ ذِكۡرَ رَبِّهِۦ فَلَبِثَ فِي ٱلسِّجۡنِ بِضۡعَ سِنِينَ﴾ (يوسف: ٤١- ٤٢). قال ابن عاشور: «قال يوسف عليه السّلام للذي ظن نجاته من الفتيين وهو الساقي والظن هنا مستعمل في القريب من القطع؛ لأنه لا يشك في صحة تعبيره الرؤيا. وأراد بذكره ذكر قضيته ومظلمته، أي اذكرني لربك، أي سيدك، وأراد بربه ملك مصر»[1]. وما كان هذا الطلب من سيدنا يوسف - عليه السلام - إلا لأنه تمنى أن يُرفع عنه الظلم، وأن يخرج من السجن حراً طليقاً.﴿فَأَنسَىٰهُ ٱلشَّيۡطَٰنُ ذِكۡرَ رَبِّهِۦ فَلَبِثَ فِي ٱلسِّجۡنِ بِضۡعَ سِنِينَ﴾ «أي أنسى الشيطان الذي نجا أن يذكره عند ربه»[2]. ولم تتحقق أمنية يوسف - عليه السلام - ، وعلى الرغم من براءته، فقد لبث في السجن فترة من الزمن حتى شاء الله تعالى له بالخروج عزيزاً مكرماً.

خامساً: أمنية النبي محمد ﷺ بإيمان عمه

بين القرآن الكريم أن النبي - عليه السلام - كان يتمنى من صميم قلبه الهداية لعمه أبي طالب، سيما وأن عمه كان من أقرب الناس إلى قلبه، ومن أكثر المدافعين عن شخص النبي ﷺ ودعوته، فكان حريصاً على هدايته وإيمانه حتى لا يموت على الكفر.

قال الله تعالى:﴿إِنَّكَ لَا تَهۡدِي مَنۡ أَحۡبَبۡتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهۡدِي مَن يَشَآءُۚ وَهُوَ أَعۡلَمُ بِٱلۡمُهۡتَدِينَ﴾(القصص: ٥٦). قال الزجاج: «أجمع المفسرون أنها نزلت في أبي طالب»[3]. وروى البخاري في صحيحه في تفسير هذه الآية «عن سعيد بن المسيب عن أبيه قال: لما حضرت أبا طالب الوفاة جاءه رسول الله ﷺ فوجد عنده أبا جهل وعبدالله

---

(١) ابن عاشور. **التحرير والتنوير**. (٧/ ٣٤٩).
(٢) المصدر السابق.
(٣) الزجاج، إبراهيم بن السري. **معاني القرآن وإعرابه**. تحقيق: عبد الجليل عبده. طبعة: ١، سنة: ١٤٠٨هـ. بيروت: عالم الكتب. (٤/ ١٤٩).

ابن أبي أمية بن المغيرة. فقال: أي عم! قل لا إله إلا الله، كلمة أحاجّ لك بها عند الله. فقال أبو جهل وعبد الله بن أبي أمية: أترغب عن ملة عبد المطلب؟ فلم يزل رسول الله ﷺ يعرضها عليه، ويعيدانه بتلك المقالة، حتى قال أبو طالب آخر ما كلمهم: على ملة عبد المطلب. وأبى أن يقول لا إله إلا الله. قال: فقال رسول الله ﷺ: «والله! لأستغفرنّ لك ما لم أنه عنك». فأنزل الله ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن يَسْتَغْفِرُواْ لِلْمُشْرِكِينَ﴾ (التوبة: ١١٣)، وأنزل الله في أبي طالب، فقال لرسول الله ﷺ: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَآءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ﴾ (القصص: ٥٦)»[1]. فقد مات أبو طالب وهو يقول: (على ملة عبد المطلب) ولم تتحقق أمنية النبي ﷺ في هدايته.

المبحث الثالث

الآثار التربوية لعدم تحقق أماني الأنبياء – عليهم السلام –

لا يخفى أن الأنبياء – عليهم السلام – هم خير البشر، وهم صفوة الله من خلقه، وقد جعلهم الله عز وجل نبراساً يقتدي بهم أقوامُهم في القول والعمل. كما أن الأنبياء – عليهم السلام – هم أحب الخلق إلى الله عز وجل، وهم أقرب الناس إليه، ومع ذلك فقد كانت لهم أمنيات ورغبات لم تتحقق على الوجه الذي أرادوا، ولا شك أن في عدم تحقق هذه الأمنيات آثاراً تربوية وقيماً أخلاقية يستفيدها المسلم في حياته اليومية، فيما يأتي أهمها:

أولاً: تقديم رابطة العقيدة على رابطة النسب

«الولاء في الله هو: محبة الله ونصرة دينه، ومحبة أوليائه ونصرتهم. والبراء هو: بغض أعداء الله ومجاهدتهم»[2].

جاء في شرح العقيدة الطحاوية: « لا يجوز موالاة من حاد الله ورسوله ولو كان

---

(١) البخاري، **صحيح البخاري**، بَابُ قَوْلِهِ: ﴿إِنَّكَ لاَ تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾(القصص: ٥٦)، حديث (٤٧٧٢)، ٦/ ١١٢.

(٢) القحطاني، محمد بن سعيد. **الولاء والبراء في الإسلام**، دار طيبة، مكة المكرمة، المملكة العربية السعودية، ط٦، (١/ ٣٢).

أقرب قريب، والذين يحبهم الله يجب أن تحبهم بقلبك، وتواليهم، وتعطيهم، وتقربهم، وتمدحهم، وتقتدي بهم، وتثني عليهم؛ لأن الله تعالى يحبهم، والذين يبغضهم الله تبغضهم، وتعاديهم، وتقاطعهم، وتبتعد عنهم، وتحذر منهم، وتذمهم، وتحذر من سيرتهم، وسنتهم، وعادتهم التي أصبحوا بها مبغضين لله، مبغوضين عند الله، ولو كانوا ما كانوا»[1].

والناظر في النماذج السابقة يلحظ أن عدم تحقق أمنيات الأنبياء، يعمل على تحقيق الأثر التربوي الخاص بتثبيت عقيدة الولاء والبراء، و تقديم رابطة العقيدة على رابطة النسب، ويمكن أن يُستقى ذلك من المواقف الآتية:

١. عدم تحقق أمنية نوح – عليه السلام –

كان نوح – عليه السلام – يمنِّي نفسه بنجاة ولده من الغرق بالطوفان، فناداه كي يؤمن ويركب معه في السفينة وأن لا يكون من المغرقين. ولقد صور القرآن الكريم حال نوح – عليه السلام – ، حين أخذته الشفقة على ولده بعد أن أبى إلا أن يكومن مع الهالكين. قال تعالى: ﴿وَنَادَىٰ نُوحٌ رَّبَّهُۥ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ٱبْنِى مِنْ أَهْلِى وَإِنَّ وَعْدَكَ ٱلْحَقُّ وَأَنتَ أَحْكَمُ ٱلْحَٰكِمِينَ قَالَ يَٰنُوحُ إِنَّهُۥ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ ۖ إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيْرُ صَٰلِحٍ ۖ فَلَا تَسْـَٔلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۖ إِنِّىٓ أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ﴾(هود: ٤٥– ٤٦). قال ابن عاشور: «نداء نوح عليه السّلام هذا كان بعد استواء السفينة على الجوديّ، نداءً دَعاه إليه داعي الشفقة فأراد به نفع ابنه في الآخرة بعد اليأس من نجاته في الدّنيا»[2]. وقوله تعالى:﴿قَالَ يَٰنُوحُ إِنَّهُۥ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ ۖ إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيْرُ صَٰلِحٍ﴾ نفي لأن يكون من أهل دينه واعتقاده، وإعلام بأنّ قرابة الدين بالنسبة لأهل الإيمان هي القرابة المعتبرة[3]. فالأمنية هنا لم تتحقق، وفي ذلك تعليم لنوح – عليه السلام – وللمؤمنين في كل حين، أن الولاء لله تعالى أولاً

---

(١) ابن جبرين، عبد الله بن عبد الرحمن. **الرياض الندية على شرح العقيدة الطحاوية**، دار الصميعي، الرياض، المملكة العربية السعودية، ط ١، ٢٠١٠م، (٥٥/ ٩).
(٢) ابن عاشور. **التحرير والتنوير**. (٧/ ٢٢٤)
(٣) المصدر السابق. (٧/ ٢٢٥).

وآخراً، وأن كل الروابط تسقط أمام رابطة الدين.

٢. عدم تحقق أمنية إبراهيم – عليه السلام –

كانت أمنية إبراهيم – عليه السلام – أن يغفر الله لوالده، فتوجه إلى ربه داعياً: ﴿وَٱغۡفِرۡ لِأَبِيٓ إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلضَّآلِّينَ﴾. تدفعه إلى ذلك رابطة الأبوة، والحرص على نجاة والده من النار. يقول سيد قطب: «على الرغم مما لقيه إبراهيم – عليه السلام – من أبيه من غليظ القول وبالغ التهديد، ولكنه كان قد وعده أن يستغفر له، فوفى بوعده. وقد بين القرآن فيما بعد أنه لا يجوز الاستغفار للمشركين ولو كانوا أولي قربى؛ وقرر أن إبراهيم استغفر لأبيه بناء على موعدة وعدها إياه ﴿فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥٓ أَنَّهُۥ عَدُوٌّ لِّلَّهِ تَبَرَّأَ مِنۡهُ﴾ (التوبة:١١٤)وعرف أن القرابة ليست قرابة النسب، إنما هي قرابة العقيدة، وهذه إحدى مقومات التربية الإسلامية الواضحة، فالرابطة الأولى هي رابطة العقيدة في الله، ولا تقوم صلة بين فردين من بني البشر إلا على أساسها، فإذا قطعت هذه الصلة انبتّت سائر الوشائج؛ وكانت البعدى التي لا تبقى معها صلة ولا وشيجة»[١]. وفي عدم تحقق هذه الأمنية تثبيت لعقيدة الولاء والبراء، فالولاء يكون لأصحاب العقيدة والدين، أما البراء فيكون من المشركين أعداء الله، مهما كانت صلة القربى التي تربط بهم.

٣. عدم تحقق أمنية النبي ﷺ

كان النبي ﷺ يمني النفس بإيمان عمه أبي طالب، ذلك الذي سجل له التاريخ صفحات مشرقة في الدفاع عن النبي ﷺ عصبية لقرابته، لكن هذه الأمنية لم تتحقق. قال تعالى: ﴿إِنَّكَ لَا تَهۡدِي مَنۡ أَحۡبَبۡتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهۡدِي مَن يَشَآءُۚ وَهُوَ أَعۡلَمُ بِٱلۡمُهۡتَدِينَ﴾(القصص: ٥٦). «فهذا عم رسول الله ﷺ وكافله وحاميه والذائد عنه، لا يكتب الله له الإيمان، على شدة حبه لرسول الله ﷺ وشدة حب رسول الله له أن يؤمن، ذلك أنه إنما قصد إلى عصبية القرابة وحب الأبوة، ولم يقصد إلى العقيدة، وقد علم الله

---

(١) ابن عاشور. التحرير والتنوير. (٥ / ٣٥٤).

هذا منه، فلم يقدّر له ما كان يحبه له رسول الله ﷺ ويرجوه»[1]. «وفي هذا ما يكشف عن صميم الدعوة الإسلامية، وعن عظمة هذه الدعوة، وعن شمولها وعمومها، وأنها تقوم على مبدأ إنسانى عام، لا يخالطه شىء من قرابة أو عصبية، حتى ولو كانت قرابة صاحب الدعوة، وعصبيته ... وهذا أبلغ شاهد، من شواهد كثيرة لا تحصى على أن دعوة الإسلام من وحي السماء، وليس للبشر صفة فيها أو تدبير لها»[2].

ثانياً: التوكل على الله

التوكل على الله «هو اعتماد القلب عليه وثقته به وأنه كافيه»[3]. وقال سعيد بن جبير: «التوكل على الله جماع الإيمان»[4]. وسر التوكل وحقيقته كما يقول ابن القيم: «هو اعتماد القلب على الله وحده فلا يضره مباشرة الأسباب مع خلو القلب من الاعتماد عليها والركون إليها، كما لا ينفعه قوله: توكلت على الله، مع اعتماده على غيره وركونه إليه وثقته به، فتوكل اللسان شيء وتوكل القلب شيء، كما أن توبة اللسان مع إصرار القلب شيء وتوبة القلب وإن لم ينطق اللسان شيء، فقول العبد: توكلت على الله، مع اعتماد قلبه على غيره، مثل قوله: تبت إلى الله، وهو مصر على معصيته مرتكب لها»[5].

والناظر في النماذج السابقة، يلحظ بشكل واضح، أن في عدم تحقق أمنيات الأنبياء – عليهم السلام – ، إقراراً لمبدأ التوكل على الله والاعتماد عليه، ويمكن أن يُستقى هذا الأثر التربوي من الموقفين الآتيين:

---

(١) قطب، سيد قطب إبراهيم حسين الشاذلي: **في ظلال القرآن**، دار الشروق – بيروت– القاهرة، ط١٧، ١٤١٢ هـ، (٥/ ٤٣٥).

(٢) الخطيب، عبد الكريم يونس: **التفسير القرآني للقرآن**، القاهرة: دار الفكر العربي، (١٠/ ٣٦٦).

(٣) حكمي، حافظ بن أحمد. **معارج القبول بشرح سلم الوصول إلى علم الأصول**. تحقيق: عمر بن محمود. طبعة: ١، سنة: ١٤١٠هـ؛ الدمام: دار ابن القيم. (٢/ ٤٤٦)

(٤) الشيباني، عبد الله بن أحمد بن حنبل. **السنة**. تحقيق: محمد سعيد القحطاني. طبعة: ١، سنة: ١٤٠٦ هـ. الدمام: دار ابن القيم. (١/ ٣٦١).

(٥) ابن القيم، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد: **الفوائد**، ط٢، ١٣٩٣ هـ – ١٩٧٣ م، دار الكتب العلمية – بيروت، ص٨٧.

١. عدم تحقق أمنية يوسف – عليه السلام –

يظهر هذا الأثر التربوي الكبير الذي تحتاج إليه قلوب أهل الايمان في كل زمان ومكان، من خلال الموقف الذي تمنى فيه يوسف – عليه السلام – من ذلك الرجل الذي ظن أنه ناج أن يذكره عند الملك، فنسي ذلك، فلبث يوسف – عليه السلام – في السجن بضع سنين. ولا شك أن في ذلك تعليم ليوسف – عليه السلام – وللمؤمنين من بعده أن الاعتماد لا يكون إلا على الله أولاً وآخراً، وأن العبد مهما بلغت سلطته وسطوته لن يكون سبباً للنجاة والخلاص ما لم يشأ رب العالمين ذلك. يقول سيد قطب – رحمه الله – عن هذا الموقف الذي تعرض له نبي الله يوسف – عليه السلام – : «وقد شاء ربه أن يعلمه كيف يقطع الأسباب كلها ويستمسك بسببه وحده، فلم يجعل قضاء حاجته على يد عبد ولا سبب يرتبط بعبد، وكان هذا من اصطفائه وإكرامه. إن عباد الله المخلصين ينبغي أن يخلصوا له سبحانه، وأن يدعوا له وحده قيادهم، ويدعوا له سبحانه تنقيل خطاهم»(١).

٢. عدم تحقق أمنية النبي ﷺ

لم تتحق أمنية النبي ﷺ بإيمان عمه، مع أنه ﷺ كان يرغب ذلك بشدة، إلا أن الله «أخرج هذا الأمر – أمر الهداية – من حصة رسول الله ﷺ، وجعله خاصاً بإرادته سبحانه وتقديره، وما على الرسول إلا البلاغ، وما على الداعين بعده إلا النصيحة»(٢).

وفي هذا تعليم للدعاة بضرورة الاعتماد على الله والتوكل عليه، ومعرفة أن الله لا يكلف نفساً إلا وسعها، وأن دورهم كدعاة يقتصر على البلاغ، أما الاستجابة للدعوة فأمرها إلى رب العباد، وهذا توجيه الخالق سبحانه لنبيه ﷺ وأتباعه من بعده، كما قال تعالى: ﴿فَإِنْ أَسْلَمُوا فَقَدِ اهْتَدَوا وَإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ﴾ (آل عمران: ٢٠)، وقوله تعالى: ﴿وَإِن مَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ

(١) قطب، سيد: **في ظلال القرآن**. (٤ / ٣٢١).
(٢) المرجع السابق. (٥ / ٤٣٥).

ٱلْبَلَٰغُ وَعَلَيْنَا ٱلْحِسَابُ ﴾ (الرعد: ٤٠).

ثالثاً: إظهار عداوة الشيطان للإنسان

تمنى آدم – عليه السلام – أن يكون ملَكاً أو أن يكون من الخالدين، وما هذا التمني إلا نتيجة لعملية الوسوسة المكثفة التي مارسها إبليس عليه لعنة الله لآدم وزوجه، فصوَر لهما أن الأكل من هذه الشجرة بالذات سيؤدي إلى هذه النتيجة المرغوبة عند الإنسان. فإبليس استطاع أن يخدع آدم – عليه السلام – وزوجه، وأقسم لهما بالله على صدقه، فلما أكلا من الشجرة تمنياً للخلد والملك بدت لها سوءاتهما وعلما يقيناً خداع الشيطان لهما. فكان من الآثار التربوية المستفادة من عدم استجابة هذه الأمنية، إظهار عداوة الشيطان للإنسان، وبيان حرص الشيطان على إغواء بني آدم في كل مكان وزمان. ولما كانت عداوة الشيطان للإنسان ظاهرة بينة أمرنا الله بالحذر منه، وإعلان الحرب عليه ونصب العداوة له. قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّا ۚ إِنَّمَا يَدْعُواْ حِزْبَهُۥ لِيَكُونُواْ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴾(فاطر: ٦). يقول ابن عاشور: «ومن لوازم اتخاذه عدوّاً، العملُ بخلاف ما يدعو إليه لتجنب مكائده ولمقته بالعمل الصالح»[(١)].

رابعاً: العدالة في الدعوة وعدم محاباة الأقرباء

الإنسان بطبعه يميل لذوي قرابته وأهله، ويتمنى لهم الخير، ومن هنا فقد أكد القرآن الكريم على الشفافية المطلقة وعدم المحاباة في سائر الأمور، قال تعالى: ﴿ وَإِذَا قُلْتُمْ فَٱعْدِلُواْ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ ﴾(الأنعام: ١٥٢). «فهو أخذ بالإنسان عما جرت به عادته من التأثر بصلات القربى في المحاباة للأقرباء والظلم لغيرهم؛ فالقرآن يرتفع بالضمير البشرى إلى مستوى سامق رفيع، على هدى من العقيدة في الله، بأن يكلفه بتحري العدل في كل أحواله ولو إزاء أقرب المقربين إليه»[(٢)].

ويقول الزمخشري في قوله تعالى: ﴿ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱمْرَأَتَ نُوحٍ

---

(١) ابن عاشور. **التحرير والتنوير**. (١٢/ ١٩).
(٢) طنطاوي، **الوسيط في التفسير**. (١/ ١٥٧١).

وَٱمۡرَأَتَ لُوطٖۖ كَانَتَا تَحۡتَ عَبۡدَيۡنِ مِنۡ عِبَادِنَا صَٰلِحَيۡنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمۡ يُغۡنِيَا عَنۡهُمَا مِنَ ٱللَّهِ شَيۡـٔٗا وَقِيلَ ٱدۡخُلَا ٱلنَّارَ مَعَ ٱلدَّٰخِلِينَ ﴾(التحريم: ١٠). «مثّل الله عز وجل حال الكفار في أنهم يعاقبون على كفرهم وعداوتهم للمؤمنين معاقبة مثلهم من غير إبقاء ولا محاباة، ولا ينفعهم مع عداوتهم لهم ما كان بينهم من لحمة نسب أو وصلة صهر؛ لأن عداوتهم لهم وكفرهم بالله ورسوله قطع العلائق وبت الوصل، وجعلهم أبعد من الأجانب ، وإن كان المؤمن الذي يتصل به الكافر نبيا من أنبياء الله»[١].

وتتجلى هذه القيمة التربوية الكبيرة التي تدل على عدل الله المطلق وتربيته للأنبياء وللأولياء وللسائرين على الطريق بالعدالة في الدعوة والشفافية وعدم المحاباة في عدم تحقيق الله لأمنية نوح – عليه السلام – فكان نوح – عليه السلام – يمني النفس بنجاة ولده من الغرق فلما رآه قد انعزل عن جمع الصالحين وأبى الا أن يكون من المغرقين أخذته الشفقة عليه ورفع أمنيته لله ظانا أن قرابته ستشفع لولده فيكون مع الناجين قال الله تعالى عن نوح – عليه السلام – :﴿وَنَادَىٰ نُوحٞ رَّبَّهُۥ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ٱبۡنِي مِنۡ أَهۡلِي وَإِنَّ وَعۡدَكَ ٱلۡحَقُّ وَأَنتَ أَحۡكَمُ ٱلۡحَٰكِمِينَ ﴾(هود: ٤٥). لكن لم تتحقق أمنية نوح –عليه السلام – في ذلك قال الله تعالى: ﴿قَالَ يَٰنُوحُ إِنَّهُۥ لَيۡسَ مِنۡ أَهۡلِكَۖ إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيۡرُ صَٰلِحٖۖ فَلَا تَسۡـَٔلۡنِ مَا لَيۡسَ لَكَ بِهِۦ عِلۡمٌۖ إِنِّيٓ أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلۡجَٰهِلِينَ ﴾(هود: ٤٦). يقول الزحيلي: «إن رابطة الدين أقوى من رابطة النسب، ولا علاقة للصلاح والتقوى بالوارثة والأنساب؛ لذا نجى الله المؤمنين من قوم نوح، وأهلك ابنه وزوجته مع الكافرين. والصحيح أنه كان ابنه، ولكن كان مخالفا في النية والعمل والدّين؛ لذا قال تعالى: إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ.. العدل الإلهي مطلق، لا محاباة فيه لنبي أو ولي، وإنه تعالى يجزي الناس في الدنيا والآخرة بإيمانهم وأعمالهم، لا بأنسابهم»[٢].

---

(١) الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد: **الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل**، دار الكتاب العربي – بيروت، ط٣، ١٤٠٧هـ، (٤/ ٥٧٥).

(٢) الزحيلي، وهبة بن مصطفى. **التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج**. طبعة:٢، سنة ١٤١٨هـ. بيروت: دار الفكر. (١٢/ ٧٩).

خامساً: أدب الأنبياء في طلب الأمنية وتقبل عدم تلبيتها

الأنبياء والرسل هم أكملُ الناس أدباً في الخطاب، وقد وصف الله تعالى نبيه بقوله: ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾(القلم: ٤). ويبيّن لنا القرآن الكريم أنّ أدب الرسول ﷺ في كلامه، كان سبباً في تجميع القلوب وتوحيد الصفوف. قال تعالى: ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ ۖ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ ﴾ (آل عمران: ١٥٩).

وقد ضرب الأنبياء – عليهم السلام – مثلا يحتذى في الأدب مع الله حتى في أشد الأحوال، فانظر وتأمل ذلك المشهد المهيب الذي يرى في نوح – عليه السلام – ابنه وهو يغرق مع الكافرين، فيرفع أمنيته إلى الله راجيا نجاة ولده بأدب مطلق: ﴿وَنَادَىٰ نُوحٌ رَّبَّهُۥ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ٱبْنِى مِنْ أَهْلِى وَإِنَّ وَعْدَكَ ٱلْحَقُّ وَأَنتَ أَحْكَمُ ٱلْحَٰكِمِينَ ﴾. يقول القاسمي: «والاقتصار على هذه الجمل الثلاث في مقام الدعاء تعريض بالمطلوب؛ لأنه لم يذكره، وذلك ضرب من ضروب التأدب»(١). ويقول طنطاوي: «واكتفى نوح – عليه السلام – بأن يقول: ﴿رَبِّ إِنَّ ٱبْنِى مِنْ أَهْلِى وَإِنَّ وَعْدَكَ ٱلْحَقُّ وَأَنتَ أَحْكَمُ ٱلْحَٰكِمِينَ ﴾ دون أن يصرح بمطلوبه وهو نجاة ابنه، تأدباً مع الله تعالى، وحياءً منه»(٢).

ثم يرد الله عز وجل على نداء نوح – عليه السلام –: ﴿إِنَّهُۥ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ ﴾ فيتقبل نوح – عليه السلام – أمر الله وعدم تقبل أمنيته بأدب كبير وتسليم تام، ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّىٓ أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْـَٔلَكَ مَا لَيْسَ لِى بِهِۦ عِلْمٌ ۖ وَإِلَّا تَغْفِرْ لِى وَتَرْحَمْنِىٓ أَكُن مِّنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾ (هود: ٤٧). «أي أن أطلب منك في المستقبل ما لا علم لي بصحته، تأدباً بأدبك واتعاظاً بموعظتك وَإِلاَّ تَغْفِرْ لِي ما فرط منى من ذلك وَتَرْحَمْنِي بالتوبة عليّ أَكُنْ مِنَ الْخاسِرِينَ أعمالا»(٣).

---

(١) ابن عاشور. **التحرير والتنوير**. (٧/ ٢٢٥).
(٢) طنطاوي. **الوسيط في التفسير**. (١/ ٢٢١٣).
(٣) الزمخشري. **الكشاف**. (٢/ ٤٠٠).

يقول الشعراوي: «وهنا يدعو نوح – عليه السلام – ربه سبحانه وتعالى أن يغفر له ما قاله، وهو هنا يقرُّ بأنه لما أحبَّ أن يسأل نجاة ابنه لم يستطع أن يكتم سؤاله، ولكن الحق سبحانه وتعالى وحده هو القادر على أن يمنع من قبله مثل هذا السؤال، وهذه قمة التسليم لله تعالى»[1].

(١) الشعراوي، محمد متولي، **تفسير الشعراوي**، مطابع أخبار اليوم، (ص ١٥٠٧).

الخاتمة

بعد هذا الاستعراض لأماني الأنبياء التي لم تتحقق، وللقيم التربوية المستفادة من ذلك، تم التوصل إلى مجموعة من النتائج، فيما يلي أهمها:

١. يدور معنى الأمنية في اللغة والاصطلاح والسياق القرآني حول محور مشترك، وهو ما يرغب المرء في وقوعه، سواء أكان فعلاً أم قولا أم حديث نفس، وسواء وقع أم لم يقع، وقد تكون في الحق أو الباطل.

٢. الأماني ظاهرة بشرية لا يعصم منها أحد، وأماني الأنبياء – عليهم السلام – وإن كان في ظاهر بعضها مخالفة واضحة، إلا أنها لا تتعارض مع العصمة؛ لأنها من العوارض البشرية وليست من أمور الرسالة والتبليغ.

٣. وردت نماذج قرآنية تبين عدم تحقق بعض أماني الأنبياء – عليهم السلام؛ كحديث القرآن عن عدم تحقق أمنية آدم بالملك والخلود، وأمنية إبراهيم – عليه السلام – بالمغفرة لوالده، وأمنية نوح – عليه السلام – بنجاة ولده، وأمنية يوسف – عليه السلام – بأن يُذكر عند الملك، وأمنية النبي ﷺ بإيمان عمه.

٤. من القيم التربوية المستفادة من عدم تحقق أمنيات الأنبياء – عليهم السلام – :

– تثبيت عقيدة الولاء والبراء عند الأنبياء والمؤمنين من بعدهم.

– إقرار مبدأ التوكل على الله والاعتماد عليه في كل شؤون الحياة.

– إظهار العداوة المطلقة من الشيطان للإنسان، وحرص الشيطان على إغواء بني آدم.

– بيان العدالة في الدعوة بين الجميع، وعدم محاباة الأقرباء.

– إظهار أدب الأنبياء في طلب الأمنية من الله تعالى، وتقبل عدم تلبيتها.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

المصادر و المراجع

١. ابن أبي حاتم، عبد الرحمن بن محمد بن إدريس: **تفسير القرآن العظيم**. تحقيق: أسعد محمد. طبعة:٣، سنة: ١٤١٩هـ. السعودية: مكتبة نزار مصطفى.

٢. ابن الأثير، مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد الشيباني الجزري: **النهاية في غريب الحديث والأثر**، تحقيق: طاهر الزاوي ومحمود الطناحي، المكتبة العلمية – بيروت، ١٣٩٩هـ – ١٩٧٩م.

٣. ابن القيم، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد: **الفوائد**، ط٢، ١٣٩٣ هـ – ١٩٧٣م، دار الكتب العلمية – بيروت.

٤. ابن جبرين، عبد الله بن عبد الرحمن: **الرياض الندية على شرح العقيدة الطحاوية**، دار الصميعي، الرياض، المملكة العربية السعودية، ط١، ٢٠١٠م.

٥. ابن عاشور، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر التونسي: **التحرير والتنوير**، الدار التونسية للنشر – تونس، ١٩٨٤هـ.

٦. ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر الدمشقي: **تفسير القرآن العظيم**، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، ط٢، ١٤٢٠هـ – ١٩٩٩م.

٧. أبو شُهبة، محمد بن محمد بن سويلم: **الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير**، مكتبة السنة، ط٤.

٨. الألباني، أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين: **سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها**، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض، ط١، ١٩٩٥م.

٩. الألباني، أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين: **نصب المجانيق لنسف قصة الغرانيق**، المكتب الإسلامي، ط٣، ١٤١٧هـ – ١٩٩٦م.

١٠. البخاري، محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي: **صحيح البخاري**،

تحقيق: محمد زهير الناصر، دار طوق النجاة، بترقيم: محمد فؤاد عبد الباقي، ط ١، ١٤٢٢هـ، رقم (٤٧٦٩).

١١. الجرجاني، علي بن محمد بن علي: **التعريفات**. تحقيق: إبراهيم الأبياري . بيروت: دار إحياء التراث العربي. طبعة: ١، سنة: ١٤٠٥هـ.

١٢. حكمي، حافظ بن أحمد: **معارج القبول بشرح سلم الوصول إلى علم الأصول**. تحقيق: عمر بن محمود. طبعة: ١، سنة: ١٤١٠هـ. الدمام : دار ابن القيم.

١٣. الخطيب، عبد الكريم يونس: **التفسير القرآني للقرآن**، القاهرة: دار الفكر العربي.

١٤. الراغب الأصفهاني، أبو القاسم الحسين بن محمد: **المفردات في غريب القرآن**، تحقيق: صفوان عدنان الداودي، دار القلم، الدار الشامية، دمشق، بيروت، ط ١، ١٤١٢هـ.

١٥. الزبيدي، محمد بن محمد عبد الرزاق: **تاج العروس من جواهر القاموس**. دار الهداية.

١٦. الزجاج، إبراهيم بن السري: **معاني القرآن وإعرابه**. تحقيق: عبد الجليل عبده. طبعة: ١، سنة: ١٤٠٨هـ. بيروت: عالم الكتب.

١٧. الزحيلي، وهبة بن مصطفى: **التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج**. طبعة: ٢، سنة ١٤١٨هـ. بيروت: دار الفكر.

١٨. الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد: **الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل**، دار الكتاب العربي – بيروت، ط٣، ١٤٠٧هـ.

١٩. سابق، سيد: **العقائد الإسلامية**، الناشر: دار الكتاب العربي – بيروت.

٢٠. الشعراوي، محمد متولي: **تفسير الشعراوي**، مطابع أخبار اليوم.

٢١. الشيباني، عبد الله بن أحمد بن حنبل: **السنة**. تحقيق: محمد سعيد القحطاني. طبعة: ١، سنة: ١٤٠٦ هـ. الدمام: دار ابن القيم.

٢٢. الصابوني، محمد علي: **النبوة والأنبياء**. ط: ١. القاهرة: دار الحديث. ١٩٨٦م.

٢٣. الطبري، ابو جعفر محمد بن جرير: **جامع البيان عن تأويل آي القرآن**، تحقيق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، ط ١، ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠م.

٢٤. طنطاوي، محمد سيد: **التفسير الوسيط للقرآن الكريم**، دار نهضة مصر - القاهرة، ط ١.

٢٥. القاضي عياض، أبو الفضل القاضي عياض بن موسى اليحصبي: **الشفا بتعريف حقوق المصطفى**، دار الفكر، ١٤٠٩هـ - ١٩٨٨م.

٢٦. القحطاني، محمد بن سعيد: **الولاء والبراء في الإسلام**، دار طيبة، مكة المكرمة، المملكة العربية السعودية، ط٦.

٢٧. القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري: **الجامع لأحكام القرآن**، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية - القاهرة، ط٢، ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤م.

٢٨. قطب، سيد قطب إبراهيم حسين الشاذلي: **في ظلال القرآن**، دار الشروق - بيروت- القاهرة، ط١٧، ١٤١٢هـ.

٢٩. القِنَّوجي، أبو الطيب محمد صديق خان: **فتحُ البيان في مقاصد القرآن**، المَكتبة العصريَّة للطبَاعة والنّشْر، صَيدَا - بَيروت، ١٤١٢ هـ - ١٩٩٢م.

٣٠. المحلي والسيوطي، جلال الدين محمد بن أحمد وجلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر: **تفسير الجلالين**، القاهرة: دار الحديث.

٣١. مصطفى، إبراهيم عبد الرحيم: **الانفعالات النفسية عند الأنبياء - عليهم السلام - في القرآن الكريم**، (رسالة ماجستير) جامعة النجاح الوطنية.

٣٢. الهروي، محمد بن أحمد بن الأزهري: **تهذيب اللغة**، تحقيق: محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي - بيروت، ط ١، ٢٠٠١م.

٣٣. الهيثمي، أبو الحسن نور الدين علي بن أبي بكر بن سليمان: **مجمع الزوائد ومنبع الفوائد**، تحقيق: حسام الدين القدسي، مكتبة القدسي، القاهرة، ١٤١٤هـ-١٩٩٤م.

٣٤. الواحدي، أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد النيسابوري: **أسباب نزول القرآن**، تحقيق: عصام بن عبد المحسن الحميدان، دار الإصلاح، الدمام، ط٢، ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م.